المجلس الأعلى للثقافة

الانتظار والحرف المجهد

عبد الله السيد شرف

C
8
S

المجلس الأعلى للثقافة

الانتظار والحرف المجهد

عبد الله السيد شرف

القاهرة
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الشاعر المنتظر أبدا !

بقلم : احمد سويلم

هذا شاعر لم يأخذ نصيبه من الإنتشار والشهرة بالرغم من صداقته الطويلة للشعر والشعراء . .وبالرغم من أن مستواه الشعرى يتفوق ليضيف الكثير إلى جيله الذى يشاركه الدرب نفسه . .

وربما لعبت عوامل كثيرة فى رسم ملامح قدره . .يجىء فى مقدمتها بعده عن مناطق الضوء فى العاصمة — فهو يقطن ويحتضن بحب قريته الصغيرة صناديد — فى محافظة الغربية — وأيضا لممارسته الكتابة والقراءة والنشر بلا تحرك أو تردد على وسائل النشر التقليدية لإصابته بمرض أقعده عن الحركة منذ زمن بعيد ! .

وفى وسط هذه العوامل المعوقة . .يبدع عبد الله السيد شرف أعماله الشعرية — وغير الشعرية فى أصالة ملحوظة ومعاصرة متميزة

وشاعرنا ينتمى إلى موجة السبعينيات فى الشعر — إذا جازلنا هذا التقسيم — ويتقدم معه على الدرب نفسه أصوات أصيلة أخرى منها على سبيل المثال : جميل عبد الرحمن — فوزى خضر — حسين على محمد درويش الأسيوطى — صابر عبد الدايم — محمد سعد بيومى — سعد عبد الرحمن . . وغيرهم كثير على إمتداد أقاليم مصر .

وفى تصورى أن هذه الموجة والموجة التالية عليها . يحاول شعراؤها خارج العاصمة . أن يحتفظوا بقدر معقول من الأصالة . قد نفتقده كثيرا فى بعض الأصوات التى تعلو فى العاصمة والتى تقترب من وسائل الإعلام

وسوف يأتى اليوم الذى تتضح فيه هذه المعالم . .وتتجلى الفروق بين الأصالة الجادة . .وغيرها من البدع التى تصيب مسيرة الشعر فى مقتل !

لنعد إذن إلى شاعرنا عبد الله السيد شرف . .فهو من مواليد صناديد عام ١٩٤٤ — وهو حاصل على بكالوريوس تجارة الأزهر عام ١٩٦٧ — أما عطاؤه الشعرى فهو كثير . .صدر منه حتى الآن ثلاثة أعمال : العروس الشاردة — فى عام ١٩٨٠ — والحرف التائه — فى عام ١٩٨٢ — والقافلة — فى عام ١٩٨٤ — وكلها صدرت بأسلوب الماستر . .أما الديوان الذى بين أيدينا فهو أول ديوان يدفعه الشاعر إلى المطبعة . .

وكما نلاحظ . . فالشاعر فوق الأربعين . . لكنه وصل إلى ساحة الشعر متأخرا . فاذا كان وقع وصوله على المنتظرين فى هذه الساحة .

إن المتابع لخطوات هذا الشاعر يلحظ وكأنه يرسم لنفسه — فى أناة — خريطة خطاه القادمة . . فهو فى (العروس الشاردة) يعبر عن ذلك الحسن الكامن فى نفسه الذى يتمنى ألا يصبح هباء أمام شرود عروسه — التى يلهث وراءها وهى غير مبالية به :

وربما أحس الشاعر هذا الإحساس الحاد نتيجة ما يلقاه من مجتمعه من الإحباط . . عدم القدرة على إختراق الغيوم التى تواجهه .

ثم نجده فى (الحرف التائه) وكأنه يستكمل رؤيته السابقة وإن كان أكثر تحديدا وتكثيفا وقصدا . . إنه يقول مثلا :

(خدعتنى الألفاظ

فاستلقيت فى جوف الضياع المستقر

وفتحت صدرى للسهام الطائشة

وصرخت من ألم .

ضللت . . فرحبا . . وخذ الإبر !)

هكذا يلقى الشاعر نفسه فى تيار المقاومة . . وما وخز الإبر هنا إلا هذا الجزاء الذى إنتهى إليه الشاعر وارتضاه . . فقد كان أمامه أحد أمرين : إما المواجهة وإما الإستسلام . . وهذا ما يجعل الشاعر شامخ القامة . . قوى النفس . بعيدا عن السقوط فى الركود والصمت .

ويفرض عليه هذا الموقف ألا يمل البحث والإنتظار عند محطات السفر المختلفة وإختراق حاجزى الزمان والمكان . . لعله يحدث حريقا فى أعشاب النفس والعالم من حوله .

لهذا جاءت (القافلة) عمله الثالث — علامة أخرى من علامات الطريق بما فيها من الإحساس بالجماعة والأصدقاء الذين يعانون مثله . . ويواجهون أقدارهم مثله .

وهكذا تتراوح خطى شاعرنا بين التردد والإختراق . . ثم يحس أن عليه أن ينتظر قليلا ليرتب أوراقه وحروفه . . فكان هذا الديوان الذى بين أيدينا (الإنتظار والحرف المجهد) .

لقد استوى عود الشاعر هنا — إلى حد كبير — عبر تسع عشرة قصيدة من الشعر الحر . . فنحن أمام طائر مجهد . . يمارس الحب والحلم فى قفص حديدى . . لكنه مع هذا يستطيع أن يتنفس هواء العالم من خلال قضبان هذ القفص . . ليعرف حقيقة ما يدور خارج نفسه وخارج إساره ويتذوق الثمرة الشهية — المحرمة — بفمه .

إنه يعبر عن هذه المعاناة فى قصيدته (الحب والموت) فيقول :

(مثل طريد ضل طريقه
كرهت روحى هذا القبر . . وهذا الصمت
هذا الموت .
كرهت روحى نقر الاصبع فوق المقعد
سئم المقعد .)

إنه رفض الموت والاستسلام . . بل هو بحث كامن عن أحلامه الغائبة .

وربما كان لغياب الأحلام والأصدقاء فى نفسه وقع خاص . . وإحساس مختلف . . فهو يتوقع دائما أن يسعى إليه كل شىء . . لأنه — فى مكانه منتظر . . ولا يمكنه أن يسعى — هو — إلى شىء . . أو يتواصل مع أحد إلا من خلال وجدانه النقى . . وذوب قلمه . . وذكرياته . . ومع هذا فهو واقعى النظرة إلى حد كبير — ساخر التعبير أمام متناقضات الحياة من حوله إنه يقول فى قصيدة الديوان (الإنتظار والحرف المجهد)

(حدثتك عن فردوس مملوء بالأطفال وبالموسيقى

بالكلمات وبالأنغام .

وحاصرتك كالعشاق بكل الألوان القزحية

سيدتى

وزرعت بدربك غابات الأحرف

فهبينى عذرك !

مخدوع مثلك

تتثنى الراقصة الفارعة

ويفجؤنى صوت يأمرنى أن أنظر حولى

وعراك لاثنين)

ثم يقول :

(أرهقت الحرف ولم أعرف ماذا أكتب

هل أقسم أن الغائب آت

أم أكتب أن الغائب ليس يعود

وأن العمر يضيع على أرصفة الأحلام

وأوهام الشعراء . !)

هكذا . . لا يترك الشاعر نفسه أن تسترسل فى الأحلام . . لكنه يواجهها دائما بالواقع المر . . وكأنه ترياق لنفسه ومعاناته وإحساسه الحاد بالإحباط . .

وتسود الديوان نغمة الإحساس العميق بثقل الحياة على العقل والوجدان ويقابلها نغمة أخرى بالتحدى وعدم الإستسلام . . وهذا هو جوهر الصراع فى شعر الشاعر . . إنه قد يغرس أقدامه فى الطين ويمضى فوق الشوك . لكنه لا ينسى أنه ينظر إلى الشمس التى تلعب دورا فى رسم ملامح قدره . . وهو يكثف هذا المعنى فى كلمات معدودة حينما يقول فى قصيدته (شديد البرودة ليلا):

[الموت سواء

فى واجهة الريح

أو تحت ركام الأنباء]

وهناك وقفة أخرى لا ينبغى أن تفوتنا . . هى وقفة الشاعر والتاريخ فالشاعر يؤكد فى أكثر من موضع أنه عاشق للتراث سواء أكان هذا بأسلوب الإشارات المتكررة لأحداث هذا التاريخ أم عن طريق إستحضاره واستبطانه والرمز إليه وإبداع الجديد فى إطاره .

والأمثلة على ذلك كثيرة . . منها ما يقوله فى قصيدته (الثوب الأبيض والمطرقة)

[كونى يا حرفا نتهجاه

تعالى أتكور بين يديك

فمن منا الظالم . والمظلوم

ومن سرق النور

أحال الأمل جذوعا خاوية

يا ذات الثوب النورانى

سئمت السفر على كفيك

دعيني أدخل فى موتى

ملعون أى ثغاء يقذفنا نحو بحار الملل وأروقة الكرب

ولقد ذكرتك والرماح تواهل   منى ولسع الموت يشرب من دمى

فضحكت كى أخفى عليك تعاستى   وبكيت . لما لم أحطك بمعصمى

إلى هذا الحد يحاول الشاعر أن يؤكد وحدة التراث الإنسانى . فهو ينهل من منابعه ما يعتقد أنه يتمازج ويتآلف فى دراما نفسه . ويكسب ذلك كله ألوانا وأصواتا وصورا تنتمى إلى عصره . وتعكس معاناته الخاصة على أقل تقدير .

وهو لا يفعل ذلك إلا إقتناعا بأن للأمس عراقته وأصالته وعظمته :

[وهذه جعبتنا خاوية

فتعالى نفتح ذاكرة الأمس

نجول بأروقة الأحلام . . ونختبىء

فهذى أضواء الفجر تسائلنا

من يفدى هذا الطفل بذبح

أو يحيخه دفاء الصدر]

(قصيدة العصفور والأحلام)

فاذا انتقلنا إلى معجمه الشعرى . . نجده يرتبط إرتباطا قويا بمضمونه وأفكاره . . إن قضايا الشاعر أو محاوره تتمثل فى : الحب والحلم والتمرد ولهذا وجدنا صوره ومفرداته تدور بلا توقف حول هذا المحاور .

ونظرة سريعة عبر عناوين قصائد الديوان توكد للقارئ هذا التوائم النفسى والفنى : إنه(طائر مهاجر) يبحث عن الحلم . . وهو يعرف (ألا جدوى) من ذلك . . لكنه لا يملك أن يتوقف فأحيانا هو أمام(الإنتظار) وسلامة(الحرف المجهد) لكنه لا ينسى أنه يحمل داخله شاعرا أى تتلاقى فى داخله (الأحلام-والسيف- والظل- والبرودة - والليل والنهار - والوصايا وديكور المدينة - وعيون أبيه - والجنون . . ألخ) لكنه أخيرا يواجه نفسه وحبيبته - وربما إنسان العصر أيضا(بألا يصدق شيئا) لأن رحلته هذه رحلة عشق وفناء وإحتراق وإخلاص وهو لا يمكنه أن يعشق غير المجهول والبعيد عن أحلامه . . ثم يودع القارئ فى النهاية(إلى لقاء) وهو لا يكف عن النداء وكأنه يوقع عهدا له بذلك . !

أما صوره ومفرداته فهى مستمدة جميعا من ملامح هذه الرحلة الشاقة المجهدة . لهذا وجدناه يحمل جعبته - ويتسلح بالسيوف وبالقصائد أيضا ويتوسل بالماضى وأبطاله ومآسيه - بل أحيانا يتوسل بالسحر لعله يصحبه إلى خلاصه - ويسخر دائما من الزيف والخداع والأقنعة والمقاييس المألوفة ويلعن الملل والإحباط - ولكن كانا يمثلان إحساسا عصريا حادا وينتظر سفينة نوح على شاطئ المجهول . . إلى آخر تلك اللافتات والمحطات .

وإذا كان لى من ملاحظة أخيرة . . فان هذا الديوان الذى بين يدى القارئ قد جمعه الشاعر منذ أكثر من ثلاث سنوات . . وهى فترة من الزمن طويلة فى مسيرة أى شاعر وليت الشاعر قد لجأ إلى وضع تاريخ لكل قصيدة لهذا فأنا أعلم تماما أن الشاعر اليوم قد تجاوز هذه المرحلة . بأشعار أكثر عمقا وواقعية وتكثيفا - بعيدة عما قد نجده فى هذا الديوان من حدة الرؤية

أو تقليدية التعبير . أو زعيق اللفظ أو عدم إحكام للصورة . وهى تتناثر بقلة عبر الديوان . بحيث لا تنال من قدرة الشاعر على الإضافة والإبداع .

لهذا فنحن فى إنتظار الجديد دائما . من هذا المنتظر أبدا .

ونتمنى ألا يطول انتظارنا .

أبريل ١٩٨٦

احمد سويلم

(عضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة)

الطائر المهاجر

وضمّ جناحه الورى فى أسف
وأخفى القوس . .
والمزمار . .
والورده
وصمّ الأذن عن قولى بأن يبقى
ليرمى فوق من يأتى . . ومن يعبر
بمنديل . .
تطرزه أيادى الشوق
والتحنانْ .
والأضواء . . والبسمه
وفارسنا
قديما كان جوّابا
يبعثر فى حنايا الأرض ألوانا . .
وأزهارا
ويرمى فى مآقى الحور . . والفتيان . .
أضواء . . وأشواقا
فيغدو الشّعر ألحانا
تنقلها العيون السود
تظهرها الخدود الحمر
والإيماء . . والنظره
قديما كان إن يعبر
يغنى النهر للشطئان
والأغصان فى وسن

تميل تقبل البطحاء فى دل

فتضحك زهرة غضة

قديما كان إن يعبر

له تتراقص الأنغام

يغدو النور كوكبة

تضم الشمس والأقمار

والأطفال والزهره

فيامن عشت أهــواه

لماذا تبتغى الفرقه

فضم جناحه أسفا

وقال وكله حسره

رغيف العيش نازعنى

وأرغمنى على الهجره ؟

بلا جدوى

وأرفضكم
أيا شيئاً بلا معنى
ويا نقطا بلا أحرف
ويا حرفا بلا مأوى
فواصلكم
محاجر تقبر الشوقا
لهذا جئت أرفضكم
وبدء البدء أرفضكم

. . . .

قضينا عمرنا نكتب . . .
على الصفحات والورقا
فكنا مثل من يكتب . . على الأمواج والرمل
لهذا جئت أرفضكم
فواصلكم
عيون تنخر الأعظم
صدى أشياء لا تنفع
كرهت مشانق الأحرف
وهل يجدى بمنفى بكاء الأعين الحبلى
وأرفضكم . . وأرفضها
وأرفض ثديها البكرا
وحتى الخصلة الحمقاء أرفضها
فلا عن موعد جئنا . .
ولا اخترنا . . ولا شئنا

ولكن . . قد تلاقينا

فكان البدء مرتاعا

وكان الحب ملتاعا

فعدنا مثلما كنا

بلا زاد . . ولا مأوى

لهذا جئت أرفضها . .

وأرفضكم

وأبكى حبى الضائع

وأبحث عنك يا روحا . . تهيم لقلبى البكر

وأسأل عنك يا عمرا . . أنقب عنك أجفانى

أغربل ذرة الريح . . وأحصى النجم والرملا

بلا جدوى . .

بلا جدوى

أكنا نساؤلنا مجانينا بلا مأوى ؟

أكنا أعينا حمقى تفتش فى خرائبكم . .

عن المثوى ؟!

أكنا أضلعاً عطشى . . إلى الأمواج والنجوى ؟

وجئت أمد أذرعتى . .

لأمسك فى الدجى ظلا

بلا جدوى

لهذا جئت أرفضها . .

وأرفضكم

وأعشق كل أخيلتى !

* * *

وتسألنى متى أعزف

أقول لكم . .

متى أعرف ؟ !

الحب . والمـوت

كان الدرب أمام الفـارس
يبدو مظـلم
يبـدو معتم
كنت أغذ بقلبي السير
عـرقاً أرشح
أرشح بردا
لا يعنيني أي زمان
خضت بحاراً قالوا : سبعا
كان خيالي أن ألقاك . . . .
. .أوسد رأسك هذا الضلع
هـذا الضـلع
كان خيالي ينفر مني هذا الرأس
صار خيالي كالأسطورة !

• • •

قال الشاعر :

صار الجنس شعار الحب
صار القرش طريق الحب

قبرت ليلى . . والمجنون
جوف خيال امرأة عانس
ضـاعت عزه
صارت شيئاً مثل النكته
فوق شفاه تنفث سما . . تنفث نارا
في الماخور

صــار كُثَيِّر
باباً يدخل منه الخــائن والمحتال
صار الحب بهــذا العصر
سراً يمشى
صار الجنس
جهراً يمشى
وأنا أمشى
سراً أمشى
أطلب شيئاً . . أو لا شيء

* * *

يا ليلاى . .
كنت أتيت لكى ألقــاك
أما الآن
فأنا أكره أن ألقاك
أكره جــداً يا ليلاى
أن أهواك بعين الجنس
أن أضممك أوان النوم
ثم أمجــك وقت الشمس
قولى أنت
كيف يعيش الحب سجينا خلف ستار أو جدران
أكره حباً لا يتحرك؟
لا يتراءى فوق الشمس . . وفى الأكوان
فالجـــرذان
تعشق حقــا داخل شق داخل جحر
والإنســـان
ليس شبيها بالجـــرذان

ولا يرجع هذا الطائر بعد رحيل عند خريف
أرجع وحدى
أبحث وحدى
فوق الأرض . . وتحت الصخر
جوف البحر
علىَّ أعثر عن لؤلؤة . . بعض رغيف ؟

* * *

ترقد وحدك خلف جدار خلف صخور
داخل قبر من أوهام
مثل طريد ضل طريقه
كرهت روحى هذا القبر وهذا الصمت
هذا الموت
كرهت روحى نقر الإصبع فوق المقعد
سئم المقعد
وأنا أرمى وجهاً مجهد
فوق سماء من بللور
أشعر أنى كالناطور
كالمسمار بداخل حائط
دقَ الموتَ ذراعٌ أحمق فوق الرأس
كرهت روحى نقر الموت
فوق الصمت

والمذياع
يلقى شيئاً يلهب رأسى مثل ذراع
تحمل ليلا كالكرباج
يحكى شيئاً فى أغنية عن محبوب
راح وغاب

والمحبوبة تبكى كمــدا
وأنا أجلس دون ذراع
دون خيال حلو يأتى كى يعطينى جرعة ماء
كرهت روحى يا ليلاى
سيل المــوت على الجدران
هل تأتينى يا ســيدتى
كى تعطينى كفاً آخــر
أو تهبينى فضل خطــاك
كل الناس تخــاف الموت
وأنا الآخر يا ليلاى
أما الغــد
عند مجيئة هــذا الساحر
يخرج قطاً من قبعته
يخرج بيضاً من كتكوت
يحيي ميتاً من تابوت
سوف أمــوت
سوف أمــوت
يا قبرتى . . سوف أموت ؟

الاعتـــذار الأحمق

أعتـــذر إليك

فلست جـــديراً لا بهواك . . ولا بحنـــانك

حين قبلت بأن يحتضنك من لا يعرف طيبة قلبك

يقبس عمـــداً من مبسمك العـــذب . . .

المـــاء . . الزاد . . الـــنور

تئن ضلوعك تحت ذراع يمحو عن مفرقك الشمس

* * *

أعتـــذر إليك . . . .

فلم أتقدم عند الفجر إلى نافذتك

أروى أرضـــك من أشواقى

أمسح عنك غبـــار النوم

وأمحـــو عنك رذاذ الكسل

أفك قيودك

أرفع رأســـك

جاء الفجر ولم أتقدم

كل صباح يحمل فجراً . . وبلا جـــدوى

فيم وقوفك يا مولاتى

صـــدئت رأسى

ضاع وجودى بين اليوم . . وبين الأمس

* * *

أعتـــذر إليك

فما حاولت بأن أحتضنك

أدفع عنك غبار الريح

وبرد المطر

أمام الواقع قد أخفقت
جباناً صرت . .
أمام نداءك — ياياسين..
بهية تقتل فلتنقذها —
وأنا أنظر دون حياء
ألقى أمرك يا مولاتى
كى تنشق الأرض لصمتى
تهصر جسمى
يا مـــولاتى
لن يجديك العذر الأحمق
فانتزعينى
بئس النبت . . وبئس الغــرس !

الانتظار .. والحرف المجهد

نعلم منذ زمان .. بمجىء الغائب
من رحلته المجهولة ..
نحو بلاد .. لا يعرف عنها لون الأرض ..
ولا حجم الأشياء
ونظل نتلب فى الأبراج .. وننظر نحو البرق
نحو الأمواج الجثث
ولا شىء سوى الأصداف
طحلبيات يلفظها الموج المجهد
فى الأحداق الجوفاء

نرجع مقهورين ..
نمد الأرجل فى كسل
نجلس قدام « التليفزيون »
ونأمل أن نلمح وجه الغائب
أو نسمع عنه حديثاً ..
فى الأخبار المنتشرة والأنباء
تبدو راقصة ذات قوام ممشوق
تتأرجح
تنظر سيدتى نحوى .. أتثاءب
تهتف قائلة :
لم تدفع قسط « التليفزيون » ..
فأنظر من تحت المنظار أقارن ..
خادعتك يا سيدتى
لم أعرف أن الحب يموت بسوق الخبز

ويشــدخه الجيب الفــارغ
فى ساحــات كريم الوجه
والــوان الأزيــاء

موجوع طفلى منذ الأمس . .
ويحــلم بالرمان . .
فهــذا زمن الأحلام الممتدة . .
أمسك بالأقــلام . .
وأرسم طــائرة . .
وحصاناً مهــزولا . .
يصرخ طفلى
فأحاول أن أقنعه أن أوان الرمان تولى
فالأشجار تبرعم حزنا
ما عاد الغــائب يا ولدى —
هــذا فصل . .
ليس يجود بغــير الحصرم . .
والأصداف . . ودود الماء
قلنــا : إن الغائب معذور
كل الأعذار بحوزته وسيفصح عنهــا حين يعود . .
تساءلنــا فى وجــل . .
لِمَ . . لَمْ يأت إلى الآن — لعلّ . .
وأسندنا الرأس الموجوع إلى كفٍّ . .
مملوء بالطين ونقط من حنّاء
كنا ألصقناها فوق الكف . . وفوق الأرجل . .
عنــد زواج الحــلوة
قالوا ساعتها . . اغمس يدك . .
فَرِحتُ . .

سأخفى خلف الألوان شقوق القدم . . الكف . .
المتدة حتى العظم
رقصت وغنيت . . وشاركنى الكل . .
وحين انفض ا-لمع
تساقطنا . . من جراء الفرحة والإعياء

* * *

حدثتك عن فردوس مملوء بالأطفال وبالموسيقى
بالكلمات الأنغــام . .
وحاصرتك كالعشاق بكل الألوان القزحية سيدتى . .
وزرعت بدربك غابات الأحرف
فهبينى عذرك . .
مخـــدوع مثلك . .
تتثنى الراقصة الفارعة . .
ويفجأنى صوت يأمرنى أن أنظر حولى
وعراك لاثنين . .
وينتصر قليل الإنجاب . . فأنظر حولى
أتساءل فيم الضجة — والغائب لم يرجع ؟ . .
والأرض عقيم . .
والأحلام تطاردنى
تأمرنى أن أنتظر الغائب . .
كى يملأ كل الأشرعة الميتة . .
ويزرع فوق الوجه المكدود البسمة . . والأضواء

* * *

أرهقت الحرف ولم أعرف ماذا أكتب ؟

هل أقسم أن الغائب آت ؟

أم أكتب . . إن الغائب ليس يعود

وأن العمر يضيع على أرصفة الأحلام.

وأوهـــام الشعراء ؟

العصفور .. والأحلام

امتدت أيدينا تتعانق
والتحم القلبان
وصارا عصفوراً
يفترش سماء مفعمة بالحب
وكانت عيناك تبوحان
وتدفقْ بالنغمات عظامى
أفتح صدرى
تأتيني كل نوارس جزر الحب تنقرّ
فتعالى ننسج أغنية خضراء
وهزّى بجذوع الشجر . .
تساقط فوقك أقمارا
ونجوماً
هزّت فى ليل وردىّ اللون
فحلّ بساحتنا ذهبى الشعر

* * *

قلت لصاحبتى :
ما شبت أوان الصلب
وهذى جعبتنا خاوية . .
فتعالى نفتح ذاكرة الأمس
نجول بأروقة الأحلام ...ونختبئْ
فهذى أضواء الفجر تسائلنا
من يفدى هذا الطفل يذبح . .
أو يمنحه دِفْء الصدر ؟

السيف والظل

أتأرجح بين السيفين
قواماً .. مرتجفا
يقترب السيف الثالث من عينيّ ..
تذوب الأرقام
الخامسة .. الثامنة .. العاشرة .. الألف
أميل فلا يهتز الظل
وأهبط لا يهتز
تسمّر ظلى فوق الحائط
ينغرس السيف بظهرى ..
أصبح لفظاً يتأرجح منفردا
ويحملق فى الظل بعينين كمثل القبر
يسائلنى .. ماذا أعددت ؟

* * *

حفنة أيام ..
وفراغاً يأكل أوقاتى ..
خادعنى الحرف
فأنظر فى كفيّ .. وفى ذاكرتى
لا أبصر إلا أوراقاً متناثرة
وهزيع أغان
وقصائد شعر تعلكنى فأدور
محصلتى عدم
فانثرنى يا سيفى فى وجه الريح
وبعثرنى فى وجه الشمس .. ولكن
لا تتركنى رَهْواً فى وجه الموت

* * *

كان السـيفان إذا ما التحما
يحتضـان . . ويفترقان
تعـود الدورة للميلاد
فأطحن بين الحـدين
تسيل دمائى . . أرقد منتشياً
أحـلم بلقاء المحبوبة
ألقى بين يديهـا أشواق القلب
نسل الحب دقائق وجـد
من بين براثن قوقعة الزمن المجنون
تذوب الدنيا بين يدينا . .
ونقطع عشقاً أوردة الوقت

* * *

حين أراها . .
أقترب فتـدنو
فاتنة تبـدو
أدنو . . . . تقترب فيلتصق القلبان
وأبصر فى عينيها آثار السيف بوجهى . . فتفرُّ . .
أنكّس رأسى . .
أسقط مطحوناً
أنبش بالأظفـار
فرائحتك يا سيدتى ما زالت فى ذاكرتى
أتسـاءل . .
من منا أرغم قلبينا أن يفترقا
السيفان ترى . . أم أنت ؟

* * *

حين يقبل حد الأول نصل الثانى أصرخ
أضنانى سيرى فوق الشوك

ويرتفع السيف ويهوى
تسقط رأسى . .
تصبح قعباً بين الأيدى فى ساحات الفعل الماضى . .
يضحك ظلى
يفتح نافذة ويطير
فأبصر جسمى يتأرجح بين السيفين
فأسقط زفرات
زفرات فى وجه الصمت ؟

شديد البرودة ليلا . . وصباحا

قال وفى يده قوس خشبيه
الريح شمـــاليه
ستهب لصـــوت الديك
وتقتلع الأشجار وتنشط فى البريه
الريح عتيه
تسقط حمماً فى لبنان . .
فتنسف شجر الأرز
وتبعثر أزهار الليمون
وأغصـــان اللوز
وتمزق نبت الصـــبار
الريح دمـــار
— هل فى الساحة من ذاق العرى . .
ووخز الموت . . ولسع الإعصار ؟

* * *

الريح شماليه
والدرجة تحت الصفر الغـــول
القمر يقـــول
المطر الموت سيسقط فى كابول
يجتث بمنجلة ذقن الشيخ
ويأكل لحم الأطفـــال
والثلج سيغمر طهـــ ران
ويصبغ بغداد بألوان عصبيه
وابن جـــلا

لا يعرف أتباع عليّ . . من أتباع أميه
الريح الحقـــد
تقتلع الأرحام
تمزق كل الأزهار بأرض الهنـــد
ـ وبأرض يمشى فيها المرء على عينيه
وعلى أذنيه ـ

* * *

الدوجـة تحت الصفر تئز
والبرد العام شديد وعنيد
يتسلل من تحت الأبواب
ومن شاشات التلفاز
من بين صفير المذياع يسيل على الجدران
ينخس خاصرة الإنسان . . الإنسان . .
يضرب طبل الأذنين يجول
الريح شمـــاليه
والبرد أكول
يمتص نخاع الرأس . .
ولبّ العصب . . ويأكل قلبك
فاخلع نعليك ولا تلزم بيتك
فالمـــوت ســـواء
فى واجهة الريح
أو تحت ركام الأنباء ؟

الوعود المؤجلة

واعدتك . . حين يحل الليل بأن نرحل حيث تريدين
نحلق فى الآفاق
نشرب من كاسات الوهم ،
نتخاصر نضحك . . لا نهتم ونمحو الحزن من الأحداق
واعدتك أن ألعب بالكرة
أدور . . ألفّ
وأحرز أهدافاً تستأهل منك التصفيق
وخلع الثوب . . واشعال الأوراق
واعدتك أن أبكى بين يديك الزمن الضائع والأشواق
أن أصعد أرصفة الشارع
كى أبتاع لأطفالى كرة . . ووروداً . . وقطارا
واعدتك . .
أن نجلس فوق العشب
ونبنى بيتاً
من رمل الشاطئ والأصداف
واعدتك . .
أن أصحب طفلىّ . .
لكى أبتاع الحلوى وثياب العيد
لكن البرد شديد
فدعينى الآن : :
فأنا أنتظر مجىء الغائب : :

حتى يحكم فوق الجسد الناحل

بعض غطاء . . ودثار

وليتأجل موعدنا لليل القادم

حين ينام الـــكل . .

وينفضّ السمار ؟

وصايا الى أشجار الحلم

انتظر . . لا انتظر
انتظر . . أين المفــــر
فالمساحات انتظار ليس يحصيها النظر
فاهـــدأ الآن استقر
— كم أضعنا فى المتاهات العمر —
انتظر . . لا انتظر
حط عصفورى على صدرى
ومن قلبى نقر
فاستدار البــــدر نحوى . .
وجهه مثل المناره
أنتظر . . لا أنتظر
طائرى فامرح . . وغرّد
وارتفع واهبط
على صدرى مقرّ
إنمـــا الدنيا قدر
انتظر . . لا انتظر
قلت للعصفور لما ضمنى ثم استدار
من يخاف العوم لن يجنى غير الرمل . .
أو بعض المحـــار
من يخاف الغوص لا يبلغ للبحر قرار
هاجم الأحزان حتى لو بأحشاء المغار

* * *

انتظـــر . .
لا أنتظـــر
تلك أبيـــات غبيه
كانت الأمس عصيّة
فاســـتعدهـــا يا شبيهـــا بالقمر
وارو هـــا يوماً لذى الوجه المنـــاره
ثم صفهـــا فى عبـــاره
— كان يهـــوى . .
غير أن الـكل قد عـــاف الحـــوار —
انتظر . . لا انتظر
انتظر . . لا . .
ليس ذا وقت اختيـــار
بعـــد أن حـــان السفر ؟

مدينتي .. والديكور

أتنقل عبر أصــابعك الغــارقة ببحر الألوان
غريبــاً صرت . . أهزّ الرأس
أســائل حــرفى
تلك عــروســتنا
أم تلك امــرأة أخــرى
تتحلى بالديكور الزائف والأضــواء

* * *

أســألك جــواز مرورى
داخل أروقة هــواك
تفــرّين . . . أناديك
وأنت هنــالك لاهية عنى
راقدة تحت ســياط البــاعة
تتسلين برؤية وجه الســادة والغرباء

* * *

الكل يخــادعك
فمــا عرفوك أوان طفولتك الأولى
ما عشــقوك وأنت تدورين بعينىّ
تحيط ضفائرك بغمــازات الوجــه
وتحت ذراعك
كراسات العشق الطفلى وأسماء الأشياء

* * *

تخزتك الألوان
وزمن الأوبئة امتــد إليك

وألقيت وشـــاحك
وامتــدت كل الأوردة
امتلأت بالأشــواك وبالأعشــاب
فكيف يسر العــاشق فوق الشوك
وتحت المــاء

* * *

من يدفع
يفتح فى يا فوخك عشاً
نافرة أنت الآن
ويطردنى ليلك
يأكل مصباحك ظلى
أخــرج مكتئبــاً
أسلم وجهى للتيه وعصر الأنواء ؟

ليلى .. و . المقياس

وماذا بعد . .
والمقياس مزقنى
هنا رأسى . . هنالك الساق والإصبع

* * *

وليلاتى غدت مرضى
بأرض لاتركب الأقوال
وانتشرت بها الأوجاع والآلام
— لن يجدى بساط الريح —
واثاقلت . . من يأتى يلملمنى
وقد غرسوا بوجه الأرض مقياسا
فصار الجزء آلافا من القطعان
وازدانت بها الجدران
لا أنهارها تروى .
ولا يسرى بها فلكى
وضاع الزورق السارى
وجف النهر . . والمنبع

* * *

تؤنبنى شرايينى
وتسخر من تفاهاتى
فكل منافذ الأوقات تقبرنى
— يقول النجم —
والأقوال فى سخف تمزقنى
تمد لسانها الثلجى تجذبنى

سنابكها تنزفني
وهذا الشاهد الممتد يكوبني
يلونني
أنا المجنون بالأقوال
ـ لا بالفعل ـ والأشعار والمقطع

* * *

فقدت جواز أسفاري
أتى المقياس منسلا
قميء الوجه مزقنا
فعدت أجرّ أقدامي
وأحصي ما لديّ الآن . . لو أنّا . .
ولا جدوى لأفكاري
وهذا القائم الصلدي في عرج يطوقنا
يشد بصيلة الشعر
أنا المقتول بالمقياس
أين الجذر
خط الطول مزّقه
ورغم الصوت يفجأني
ورغم النخس بالمهماز
رغم ضخامة الناقوس . .
والسندان لم أسمع

* * *

وماذا بعد والاوحات تجلدني
شكت رأسي صداعاً قد ألم بها
فلم يحفل بها جسمي
وترحل كل أفكاري

فتنهرها سياط الأحمر القانى
وتردعها ذراع الأبيض الضاحك
غريقاً صرت فى بحر من الأمواج
عرياناً تسف الريح من جسدى
أتى المقياس مزقنى
وأخفى ارث من ماتوا
ومن عاشوا بلا حقد
ولا إحن
وفرق بين إخوانى
وبين الطفل والمرضع

* * *

ولكنى
أرى المصباح وهاجا
برغم الريح وهاجا
ولو جدنا له يوما
— ببعض الزيت — لو . . يوما
سنمحو كل مقياس
يفجر كل أحزان
ويفصل بين أقدام
وبين الرأس والإصبع ؟

المجنون .. ووصايا الأجداد

حين عشـــقتك
كانت أظفـــارك فى قلبي تنغرز
كشفرة موسى
وأنا مشـــدوه . . والأصـــوات تلاحقنى
— تلك الخـــادعة —
وتنسينى أمواج البحر بعينيك الآلام
ويسكرنى لون اليـــاقوت على شفتيك
— وحـــاول أن تستعصم —
يضحك ثغرك فأتيه
أدور على كفيك
ويخدعنى صـــدرك
أركب زورق حلمى وأمنى النفس

* * *

وتفرّين
أفيق . . وأفتح كل قواقع أحـــلامى . .
أحصيهـــا
— ما أكثر تلك الأصـــداف —
أهز الرأس وأهتف
مزقنى مكرك حتّى انفطـــرت كلماتى
فتعـــالى نتحـــاور
أيهمـــا نصل الصـــبر
وأيهمـــا درب اليـــأس
وردّى أسلحتى ثم تعـــالى
نتبـــارز فى ضـــوء الشمس

وتعــودين

فتهتف كل الأصــوات

ـ اقتلهــا كى تنعم بالدفء وبالأمن ـ

فأحتضنك

أبحث عن لون اليــاقوت على شفتيك

وأمواج البحر بعينيك

فتنغرزين بظهرى شفرة موسى

: تنســاب دمائى

تسرى خيطــاً ثعبــانيا

أرقد منتشــيا

مجنون ينسى كل وصــايا الأجــداد

ويحصى الآمال . .

يعيــد الترتيب

ويلهو . .

فوق الشوك . .

وينسى الأمس !

الثوب الأبيض و . و . المطرقة

ينسكب الليل
وأنت بلا سأم ترتفع ذراعاك
بدائرة النور
وتهبط خاوية فوق الرأس . .
كمطرقة فأموت
وترتفعان فأبعث
ترتدان فأصرخ
يا صاحبة الثوب الفضى
طقوسك تلهبنى . . وتعرينى
والساحة خالية من كل الأشجار
فمن أين بأوراق كى أخصف منها الثوب ؟
كفى . . يا حرفا نتهجاه
تعال . . أتكور بين يديك
فمن منا الظالم . . والمظلوم
ومن سرق النور أحال الأمل جذوعاً خاوية
يا ذات الثوب النورانى
سئمت السفر على كفيك
ملات الصخر المسلوق بجوف القدر
تعال أستند إليك
وتتكئين على صدرى حتى تختلف الأضلاع

دعيني أدخل في مـ وتي
ملعون أي ثغــاء يقـذفنا نحو بحــار الملل
وأروقة الكرب

* * *

ولقــد ذكرتك والرماح نواهل
مني . . ولسع الموت يشرب من دمي
فضحكت كي أخفي عليك تعــاستي
وبكيت . . لمـ ا لم أحطك بمعصمي

سيدتى ... و .. الألوان

ما زالت سيدتى تغتسل بحمامات الألوان
وتلهو برمال الشاطئ
— رغم الريح —
تفك ضفائرها المجدولة من رحم الأرض
وتبسطها
فتعود حراباً زاهية الألوان
تعود دهاناً . . وشراكاً
تلبسنى الألوان
— لماذا تضحك تلك الأبقار الخادعة —
فتلمزنى سيدتى
وتسوى الثوب
تلملم صدراً وهاجا
اتعلثم فى اخفاقى
والسيدة الحسناء بركن الأمس
تسوى حاجبها
والقنديل الشاحب فى كفيها
أتداخل . . أصرخ . .
من يخرجنى من هذا الإفك المجنون ؟
ها أنت تشاغلك الألوان
ورأسك بين الفكين
ويتسع الخرق ولا راقع إلا أمواجك يا سيدتى
فلماذا تتبدد أنهارك
تشرب أشجارك من نهر موبوء

وتجــادلنى . .
أين سواعدك الواعــدة . . المعطــاء
فأهمس فى خجل مكتئبــا
كنا نستبق
تشــاغلنــا بالألوان وبالنوق
ولمــا عــدنا
كان النخــاس يتــاجر فى أذرعتى
فى أحشــائى ويحــاصرنى
لكنى . .
رغم الألوان الصــارخة . . ورغم الإفك
رأيت دمائى حين انســابت
تحتضن الرمل وترسم أطفــالا
تشحذ حــرفاً وســيوفاً
تخترق اليــأس الملعون !

الاعصـــار .. وعيــون أبى

كانت – آمالك – حقــاً – . .
لا تعترف بأية حــد
تماوج فى ذرات الــريح
تطــير . . تحط على كتفيك
على كفيك
وتشرب من نبع الأفراح الممتــد
لكن الآمال ارتطمت بالأقوام
فصـــارت تتلعثم فى ذاكرتك
فوق شــفاهك
حين النبتة كانت تتمايل . . .
كى ترسم فى وجه طموحك ســد
كان الهرم المقــلوب يفجر أحــزان القلب
فتهرب آمالك نحو الداخل
يرتجف القلب . .
وتذبل عينــاك
وينصهر القــد
كل كتيبتك الأولى انصهرت
تحت صقيع الأقدام انكسر السيف
وضـــاع الغمــد
يسقط فارسك الثــانى تلو الأول
منشـــطر بين الاثنين – أنا –
مشنوق فوق رمال اليــأس . .
وحر الصهد

كان الإعصـار يدوى يقتلع الحذر
وكان الصـبر يصب عليك الأمن . . النور
فيبسم وجهـك
كان الحزن يضاعف من أمواج المـد
حـاولت مراراً أن أمنحك زجـاجة عطر
أفتح قـلبى كل مسـاء
أعصر . . أعصر . . أعصر . .
أهتف فلتسعفنى يا شريان القلب . .
وأضرب رأسى بالجـدران الصلبة والممتـدة
أصرخ فى الآبار وأرجع دون الرد

* * *

أعرف أن القـدم امتدت
! غـاصت داخل قلبك
كانت سكيناً ثالثة . . رابعة . . خـامسة
فالأرقام اتسعت رقعتهـا
وتغوص بقلبك أقـدامى نصـلا مسنونا
مقتول بعيونك
تقتلك الأقـدام
وتختلط الأشـياء أراك القـاتل والمقتول
وأشـعر أنى المقتول القـاتل
كنت أعـد . . أعـد . . أعـد . .
وحين انهزم الكل سئمت العـد

* * *

حين تمـددت أمامى
مفترّ الثغر . . وضيء الوجه
وانبجست كل بحـار العجز أمامى

سـالت روحى من أجفـانى
سقطت مطـراً
فلقـد كنت سفينة نوح . .
كنت . . وكنت
وبعـد رحيلك ضـاع الكل . .
وصرت وحيـداً
أهطل مطـرا
أهمس حينـاً
أصرخ حينـاً
يا أمواج الحزن احتشمى : .
ماذا بعـد ! .

مجرد احتمال

توقفت خطـــاه عند أول الطريق

كم حثهـــا على المضى . .

والعبـــور فى المضيق

لكنهـــا . .

تكومت فى ســـاقه الخطى

وألف حفرة تشـــد خطوته

وفى الرمال

تســـوخ صرخته

قد تجف على الشـــفاه غنوة جـــديدة

. تلوكهـــا الرياح

ما أبعـــد الطريق

ما أثقل الخطى

يا أيهـــا الرفيق

هبنى عصـــاك

فضل الخطى . .

أو امنح الكف العيون

— ومن تكون —

فتلتصق بحـــلقه الحـــروف

هنيهة

يحس أنه الضـــباء

ومعظم الأوقات لا يظن غير أنه مجنون

يصـــارع الهواء

لـكنه

لن ينثني عن الطـــريق

فربمـــا . . مجرد احتمال . .

يجرجر الخطى . . ويقهر المحال ؟

لاتصدق

حدثوا . .
أن فؤادى . . . . . .
لم يعد يذكر عهدك
لا تصدق . . يا حبيبى
لم أزل أحفظ ودك
أنت فى قلبى نشيد
يا نعيمى . .
أنت وحدك
رغم بعدى . .
إن روحى
لم تزل يا حلو عندك
لا فؤادى عنك يسلو
لا . . ولن أعشق بعدك

الى اللقاء

إلى اللقـــاء . .
لفظة . . تموجت
تدورت
فثلجت أطرافنـــا
وترعد الضلوع
يا لطعنة الفراق . .
خنجر يغوص فى العيون
ترجف القـــدود
طائران يرجفان
يخمشان صفحة السماء بالعيون
أين مخبئى بعالم الفراق
ساعة الفراق دائماً
يكابد الحبيب لوعة الأسى . .
ولســـعة الشقاء . .
إلى اللقـــاء
لفظة . . تهدلت لتنخر العظام
وجهك الحزين . .
يشحذ السيوف فوق مفرقى
تكوم الكلام فى الحلوق
دارت العيون

ذبت فى متاهةالحروف يا حبيبى

وتنكأ الجــراح

كيف لا يحق للحبيب ساعة الفراق . .

أن يجود بالبكاء

إلى اللقـــاء . .

ترجف الشفاه وقتها

تغوص فى الظنون ألف فكرة رفيعة الحراب

تنقر القلوب

لا يلوح غير وجهك الحزين

يعصر الفؤاد..

يطلق اليافوخ دفقتين

أنهر العيـــون

لا يليق بالرجال ساعة الفراق . .

أن تجود عينهم

لم الرجـــال ؟ ..

وجهك الحزين أرهق الحروف أن تقال

وجهك الحزين ســـاعة الفراق . .

يهـــدر العـــروق بالدماء

* * *

إلى اللقـــاء . .

أطلق القطار صرختين فانخلعت يا حبيبى

لم الرجـــال ؟

ينفث القطـــار سمه

وغامت العيون يا حبيبي

تدورت رؤاى . .

أنت . . عند ظهر رؤيتى

وأنت . . عند حافة الزمان

يا حبيبى

ويســفح النــداء

إلى اللقـــاء

إلى اللقـــاء

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الادارة
رمزى السيد شعبان

رقم الإيداع بدار الكتب ٦١٤٩/١٩٨٥

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٦١٩٠ — ١٩٨٥ — ١٠١٠

مطبوعات
المجلس الأعلى للثقافة

